الاتحاد الإسلامي
السلام واجتناب التفرقة والتنازع في العالم الإسلامي

كلمة صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام علىٰ نبيه الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين

حدثنا الحسن، عن الحسن، عن الحسن بن أبي الحسن، عن الحسن، عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: «إنّ أحسن الحسن الخلق الحسن».

تسعدني المشاركة في هذا اللقاء المبارك الذي نتدبّر فيه أحوال أمتنا الإسلامية، وما تواجهه من تحديات كبرىٰ. ونتطلّع في مؤتمرنا هذا إلىٰ جهود كلّ العقلاء وكلّ المخلصين من أبناء هذه الأمة للدفع باتّجاه تحقيق وحدتها وازدهارها، والتقريب بين أبنائها علىٰ اختلاف انتماءاتهم المذهبية والعرقية.

استذكر هنا رائدي التقريب الإمامين آية الله العظمى السيّد حسين البروجردي والشيخ محمود شلتوت، وجهود سماحة آية الله الشيخ محمّد علي تسخيري رحمه الله الذي رحل عنا في العام الماضي، ولا ننسى جهوده المحمودة في تحقيق السلام ورأب الصدع بين أتباع الديانات والثقافات. فقد أكّد الدور المهم الذي حقّقهُ هذا المؤتمر عبر السنوات الثلاثين الماضية في التقريب بين المذاهب الإسلامية، وإزالة التصورات الخاطئة بين أتباع المذاهب والمدارس الإسلامية المتنوّعة، وإعلاء مصلحة الأُمّة علىٰ أساس تعظيم الجوامع والمشتركات واحترام الاختلافات.

وإذ نحتفل بذكرى المولد النبوي الشريف في ربيع الأول هذا، نستذكر النهج النبوي

الذي نقتدي به في قبول الاختلاف واحترام الآخر والحوار، ذلك الحوار الذي أخدم أمتي به من المؤتمر الدولي الثاني والثلاثين للوحدة الإسلامية الذي عقد في ٢٠١٨ تحت عنوان «القدس، محور وحدة الأُمّة»، والقمة الاستثنائية لمنظمة التعاون الإسلامي حول فلسطين والقدس الشريف التي انعقدت عام ٢٠١٦ في جاكرتا باندونيسيا، وفي هذا إشارة إلىٰ أن العالم الإسلامي يتوحد حول مصفوفة من القضايا علىٰ رأسها قيم الإيمان والأخلاق والعلم والعمل. وأولى الأولويات للأمة؛ قضية فلسطين والقدس في الضمير الإنساني.

وأمام ما نراه من اعتداءات وجودية متكررة علىٰ المصلين الآمنين في مساجدهم في فلسطين والعراق وأفغانستان وغيرها من دول العالم، أقول إن هذه الاعتداءات هي جريمة كبرىٰ لا يقبلها مسلم، فالمساجد والكنائس ودور العبادة هي بيوت الله، ومصلى للموحدين به، التي جعلها خاصّة لذكره وتلاوة آياته وإقامة الصلاة له، كما يقول تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾[1].

العلماء والمفكرون الأجلاء،

كما تعلمون، يعاني ملايين المسلمين من ظواهر الحروب والنزاعات واللجوء والكوارث بأنواعها. وهذا يضعنا أمام تحديات الاستجابة المثلى لهذه الاحتياجات الحقيقية للمجتمعات والفئات المتضررة، بما يصون الكرامة الإنسانية (للأفراد والجماعات) بوصفها حقّاً أساسياً من حقوق الإنسان. دعونا نركز بحثنا علىٰ إعادة تكوين المفاهيم المتصلة بقضايانا المعاصرة التي تشغلنا جميعاً كما هو الحال مع مشكلة اللاجئين والبطالة وحقوق الإنسان ومشكلات المياه ومشكلات الطاقة والغذاء والتغير المناخي وغيرها.

وأتساءل معكم إذا كان للمجموعة الأوروبية أن تبدأ بالخمسينات بموضوعات كبرىٰ كالصلب والحديد، فلماذا لا نستطيع نحن في المشرق العربي والفارسي والتركي والكردي حيث ذلك التنوع الثري أن نبدأ بمجتمع الطاقة والمياه لتجاوز الثنائية في علاقاتنا والذهاب إلىٰ ما هو أبعد.

---

١. الجن: ١٨.

كيف يمكن أن تساهم البرامج الدولية للتقريب بين الأمم ـ ونحن بصدد الحديث عن التقريب بين المذاهب ـ فماذا عن الاستدامة للتقريب بين الشعوب كافة، وماذا يمكن لنا أن نفعل أمّا انتشار الأوبئة والأمراض والكوارث المختلفة، سواء الكوارث الاساسية الناتجة عن قوى الطبيعة، أو الكوارث التي يمكن التنبؤ بها مثل المجاعات والأوبئة، أو الكوارث العارضة كالكوارث الصناعية والنووية، أو الكوارث المتعمدة كالحروب والنزاعات وما تخلفه من ملايين اللاجئين والمشردين؟

في كلّ عام تستقبل الدول الغربية مئات الآلاف من اللاجئين العرب والمسلمين من مختلف مذاهبهم وطوائفهم وديارهم في سياق سعيها نحو استثمار الرأسمال البشري فهل سنبقى غافلين وصامتين عن ضياع رأسمالنا البشري وخسارتنا لتنوعنا الديني الثقافي الثري الذي يميز حضارتنا ومنطقتنا؟

نحن بحاجة إلىٰ تأكيد أهمية العمل الإسلامي المشترك والتنسيق علىٰ كافة المستويات من أجل وقف المعاناة وتخفيف آثار الأزمات علىٰ ملايين المسلمين، وتوجيه التمويل لإنقاذ الأرواح من أجل الإنسانية. وللزكاة، بكلّ تأكيد، دورٌ أساسي في القضاء علىٰ صور الحاجة والفقر في العالم الإسلامي بشكل خاصّ، وفي العالم أجمع. وهنا أُجدد الدعوة إلىٰ إنشاء مؤسّسة عالمية للزكاة والتضامن تقوم علىٰ أساس الزكاة الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

وعن أهمية الوحدة واجتناب الفرقة والتنازع أقول ليست الوحدة مصلحة مرحلية أو عارضة في الفكر الإسلامي وإنّما هي مقصد كلي أكدته تعاليم الإسلام وأكد عليه القرآن الكريم باعتباره أساساً تتفق عليه شرائع الأنبياء بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾[1].

ومن أعمق ما ذهب إليه المفسرون للآية السابقة هو ما ذكره العلّامة محمّد حسين الطباطبائي في تفسيره للآية، حيث ذهب إلىٰ أن المراد بـ«الأمة» هو النوع الإنساني وليس المسلمين فقط. فالوحدة بين الناس هي قيمة جوهرية في البناء العقدي الإسلامي وهي تلتقي مع توحيد العبادة لله تعالىٰ.

---

١. الأنبياء: ٩٢.

وهنا لا بدّ من الإشارة إلىٰ خطورة الفهم الخاطئ للدين الذي يقوم علىٰ الفهم الحرفي للنصوص والغفلة عن روح النصّ. وهنا أشير إلىٰ مشكلة شيوع استقطاب الكراهية المتبادلة بين كثير من المسلمين وتأثير ذلك علىٰ وحدتهم، الأمر الذي يفت في عضد الأُمّة ويهدر مقدراتها وبأسباب العيش الكريم والتقدّم فيها. ولا أجد كلاما أبلغ في التعبير عن هذه المشكلة من كلام محمّد بن علي بن محمّد الشوكاني ﷺ حيث يقول: «هاهنا تسكب العبرات، وينوح علىٰ الإسلام وأهله بما جناه التعصب في الدين علىٰ غالب المسلمين من الترامي بالكفر لا لسنة ولا لقرآن، ولا لبيان من الله، ولا لبرهان، بل لـمّا غلت مراجل العصبية في الدينن وتمكن الشيطان الرجيم من تفريق كلمة المسلمين» (كتاب السيل الجرار).

نحن أمام ضرورة معرفية ودينية كبرىٰ تتمثّل بإعادة النظر في المقاربات التأسيسية لمفهوم التنوع الديني والمذهبي والانتقال بهذا المفهوم من النظرة التاريخية الانتقائية التي تعمق الفرقة والنزاع إلىٰ تكوين فهم عميق تجاه الآخر بكلّ تمثلاته الروحية والثقافية والاجتماعية.

وهنا لا بد من تجاوز التركات التاريخية والسرديات الطائفية التي لا تقدم تفسيراً معرفياً عقلياً بقدر ما تدفعنا نحو إعادة انتاج أحكام مسبقة تشق الأُمّة وتضعف وحدتها. فالتاريخ ليس عبئا نحمله علىٰ ظهورنا ولكنه مادّة للاعتبار؛ يقول تعالىٰ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1].

إن الاختلافات بين اتباع المذاهب الإسلامية ليست استثناء في تاريخ الأديان، ولا ينبغي أن يكون التنوع المذهبي واختلاف المدارس الفكرية سبباً للصراع، وإنّما ينشأ الصراع من رفض التعددية وعدم إدراك قيمة التنوع كسنة الهية مقصودة ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾[2]

ومن أهمّ المُنطلقات التي تُؤسس لخطاب إسلامي عالمي هي تفعيل قيمة الحوار والشورى بين المسلمين، وهنا أذكر قوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ

۱. البقرة: ۱۳٤.

۲. هود: ۱۱۸.

وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[١].

هل لدينا الاستعداد المعرفي للحديث عن العالم من حولنا بموضوعية وانصاف، وهل هناك محاولات جادة لمصالحة إسلامية عقلانية؟ وماذا عن بيت الحكمة الذي أقامه المأمون في بغداد وجمع تحت سقفه العلماء والمترجمين من مختلف معتقداتهم ومذاهبهم وأين نحن اليوم من هذا البيت وأهله؟

وأشيد هنا بأهمية ما يقوم به كرسي اليونسكو في جامعة الكوفة الذي يهتم بتطوير دراسات الحوار بين الأديان في العالم الإسلامي ويسعى لتقديم المعرفة الأكاديمية في الحقوق الإنسانية لاسيّما المتعلقة بين الأديان والمذاهب، وتشجيع ثقافة الحوار والتعايش السلمي بين الجميع.

ما أحوجنا إلىٰ إطلاق منبر حواري بين المذاهب جميعها، لا علىٰ قاعدة إثبات الفرقة الناجية، فهذا ما يزال يتحرك وفق منطق الغالب والمغلوب، وإنّما في سياق بناء خطاب الأُمّة، لجهة فهمها لماضيها، وآليات انتظامها الحالي علىٰ قاعدة التنوع والتعدد والاجتهاد الحر.

العلماء الأجلاء،

يضعنا الفهم العميق للدين أمام مساحات رحبة من البحث عن سبل الحياة الطيبة، فالدين يؤسس لفقه حي معاصر يتجاوز الثقافات المنغلقة علىٰ ذاتها إلىٰ ثقافة منفتحة علىٰ الإنسان ومحيطه الاجتماعي والكوني؛ واذكر في هذا السياق قول الإمام علي رضي الله عنه في وصفه للناس بأنهم «إمّا أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق».

وفقه الحياة له دعائم تصنع حضارة إنسانية يعيش فيها الإنسان مع أخيه الإنسان مراعيا حسن الجوار وصلة الرحم الإنساني، ويتقن إدارة الاختلاف والتنوع.

نحن بحاجة إلىٰ فلسفة تتأمل روح الدين وتحترم كرامة الإنسان والحياة. أن الأوان أن نعلي عالمية الإنسان ووحدتنا «الآدمية»، وهنا تبرز أهمية التضامن والتعاون في مواجهة المأساة الإنسانية في اليمن وسوريا والعراق وليبيا والصومال وأفغانستان. وهنا أشير ، علىٰ سبيل المثال، إلىٰ اليمن ومعاناة شعبه فقد أعلنت المفوضية السامية لحقوق الإنسان التابعة للأمم المتّحدة في مطلع العام

---

١. الشورى: ٣٨.

الحالي أنّ الصراع في اليمن خلال ٦ سنوات أودى بحياة ۲۳۳ ألف شخص، وبحسب الصليب الأحمر هناك ۲,۳ مليون طفل وامرأة مصابون بسوء التغذية الحاد و ١٥ مليون يمني لا يحصلون على المياه النظيفة، و ۳ مليون يمني نزحوا من منازلهم نتيجة الحرب.

ويكفي أن نرى ما خلفته الحروب من ملايين الضحايا وتقويض للعمران لندرك وجود خلل جذري في مفهوم «الحرب العادلة» الذي يجب أن يوقم على أسس شرعية في الإسلام تجمع بين رفض الظلم من جهة واحترام آدمية الإنسان من جهة ثانية.

لقد أن الأوان لأن نتوقف قليلاً للتفكير بالواقع المرير الذي يعيشه عالمنا المعاصر وأن نستحضر المعاني الإنسانية العميقة التي خلفها وباء كورونا والتي من أبرزها تنامي الشعور بوحدتنا الآدمية وضرورة العمل المشترك لمواجهة الكوارث التي تهددنا جميعا على هذه الأرض. هل بإمكاننا النظر إلى جائحة كورونا بأنّها «وقفة تأمل بشرية» ننطلق منها إلى الاجتهاد والأفكار المبدعة التي تؤدّي إلى الإنماء ومن ثمّ الاستقرار؟

الحضور الكرام:

يقول الله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[١].

ولا يفوتني في ختاتم هذه الكلمة، أن أعبّر عن عميق الشكر والتقدير للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية وللجمهورية الإسلامية الإيرانية على عقد هذا المؤتمر؛ متمنياً لكم التوفيق والنجاح.

أحيّيكم وأسلم عليكم

١. الناس: ١١٤.